

فصل

قال ابو نصر محمد بن محمد الفارابى رحمه الله

فضيلة العلوم والصناعات انما تكون باحدى ثلاث، اما بشرف الموضوع، واما باستقصاء البراهين، واما بعظم الجدوى الذى فيه، سواء كان منتظرا او محتضرا .

اما ما يفضل على غيره لعظم الجدوى الذى فيه فكالعلوم الشرعية والصنائع المحتاج اليها فى زمان زمان وعند قوم قوم .

واما مايفضل على غيره لاستقصاء البراهين فيه فكالهندسة .

واما ما يفضل على غيره لشرف موضوعه فكعلم النجوم .

وقد تجتمع الثلاثة كلها او الاثنان منها فى علم واحد كالعلم الالهي .

فصل

قد يحسن ظن الانسان بالعلم الواحد فيظنه اكثر واحسن واحكم واوضح مما هو بهفذلك اما لتقصير ونقص يكونان فى طبعه فلا يقدر معهما على الوقوف على حقيقة ذلك العلم.

واما لانه لم يبلغه مايعاند الذى عنده •

واما لفضيلة المستنبطين له والمتمسكين به، واما لكثرتهم ، واما لحرص الانسان على نيل ما يرجوأنه يحصل من ذلك العلم وجلالة فائدته وعموم النفع فيه لوصح وتحقق، واما لاجتماع اكثر هذه الاسباب فيه •

وقد يخرج مثل هذا الظن الانسان الى قبول ماليس بكلى على انه كلى ، وما ليس بمنتج من القياسات على انه منتج، وماليس ببرهان على أنه برهان •

فصل

اذا وجد شيئان متشابهان ثم ظهر أن شيئا ثالثا هو سبب لأحدهما فان الوهم يسبق ويحكم بانه ايضا سبب للآخر ، فذلك لايصح فى كل متشابهين اذ التشابه قديكون امرض من الاعراض وقد يكون بالذات •

والقياس الذى يتركب فى الوهم فيوجب ما ذكر أنه قياس مركب من قياسين •

ومثال

ومثال ذلك ان الانسان مشاء والانسان حيوان والمشاء حيوان والفرس شبيه بالانسان فى انه مشاء فهو ايضا حيوان، وهذا لايصح فى جميع المواضع اذ القفنس (١) ابيض وهو حيوان والاسفيداج ابيض لكنه ليس بحيوان •

فصل

امور العالم واحواله نوعان ، احدهما، امور لها اسباب عنها تحدث وبها توجد كالحرارة عن النار وعن الشمس توجد للاجسام المجاورة والمحاذية لهما وكذلك سائر ما اشبههما،و النوع الآخر امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة، كموت انسان اوحياته عند طلوع الشمس اوعند غروبها،فكل امرله سبب معلوم فانه معدّ لأن يعلم ويضبط ويوقف عليه •

وكل امرهو من الامور الاتفاقية فانه لاسبيل الى ان يعلم ويضبط ويوقف عليه البتة بجهة من الجهات •

والاجرام العلوية علل واسباب لتلك و ليست بعلل واسباب لهذه •

فصل

لولم تكن فى العالم امور اتفاقية ليست لها اسباب معلومة، لارتفع الخوف والرجاء واذا ارتفعا لم يوجد فى الامور الانسانية نظام البتة

---

(١) كذا ولعله القفنس كما فى القاموس و حياة الحيوان

لا فى الشرعيات ولا فى السياسيات لأنه لولا الخوف والرجاء لما اكتسب احد شيئا لغده، ولما اطاع مرؤس لرئيسه ولما عنى رئيس بمرؤسه، ولما احسن احد الى غيره، ولما اطيع الله، ولما قدم معروف •

اذ الذى يعلم جميع ما هو كائن فى غدلا محالة على سكون ثم يسعى سعيا فهو عابث احمق يتكلف بما يعلم انه لا ينتفع به •

فصل

كل ما يمكن ان يعلم اويحصل قبل وجوده بجهة من الجهات فهو كالعلوم المحصلة وان عاقت عنه عوائق اوتراخت به المدة •

واما مالا يمكن ان يكون به تقدمة معرفة فذلك الذى لا يرجى الوقوف عليه الابعد وجوده •

فصل

الامور الممكنة التى وجودها ولاوجودها متساويان ليس احدهما اولى من الآخر لايوجد عليها قياس البتة اذ القياس انما توجد له نتيجة واحدة فقط اما موجبة واما سالبة •

واى قياس ينتج الشىء وضده فليس يفيد علما لانه انما يحتاج الى القياس ليفيد علما بوجود الشىء فقط اولاوجوده من غير أن يميل الذهن الى طرفى النقيض جميعا بعد وجود القياس، اذ الانسان من اول الامر واقف بذهنه بين وجود الشىء ولاوجوده غير محصل

احدهما

احدهما •

فأى فكر او قول لا يحصل احد طرفى النقيض ولا ينفى الآخر فهو هدر و باطل •

فصل

التجارب انما ينتفع بها فى الامور الممكنة على الاكثر لاغير، واما الضروريات والممتنعات فظاهر من امرهما ان الروية والاستعداد والتأهب والتجربة لا تستعمل فيهما، وكل من قصد لذلك فهو غير صحيح العقل •

واما الجزم فقد ينتفع به فى الامور الممكنة فى الندرة وفى التى على التساوى •

فصل

قد يظن بالافعال والآثار الطبيعية انها ضرورية كالاحراق فى النار والترطيب فى الماء والتبريد فى الثلج، وليس الأمر كذلك لكنها ممكنة على الاكثر لاجل ان الفعل انما يحصل باجتماع معنيين، احدهما تهيؤ الفاعل للتأثير والآخر تهيؤ المنفعل للقبول فمهما لم يجتمع هذان المعنيان لم يحصل فعل ولا أثر البتة، كما ان النار وان كانت محرقة فانها متى مالم تجد قابلا متهيئا للاحتراق لم تحصل الاحتراق •

وكذلك الأمر فى سائر ما اشبههما، وكلما كان التهيؤ فى

الفاعل والقابل جميعا تم (١) كان الفعل اكمل، ولولا ما يعرض من التمنع فى المنفعل لكانت الافعال والآثار الطبيعية ضرورية ٠

فصل

لما كانت الامور الممكنة مجهولة سمى كل مجهول ممكنا ٠ وليس الأمر كذلك اذ العكس فى هذه القضية غير صحيح على المساواة لكنه على جهة الخصوص والعموم، فان كل ممكن مجهول، وليس كل مجهول بممكن، ولأجل الظن السابق الى اوهم ان المجهول ممكن صار الممكن يقال بمعنيين ٠

احدهما ما هو ممكن فى ذاته والآخر ما هو ممكن بالاضافة الى من يجهله، وصار هذا المعنى سببا لغلط عظيم وتخليط مضر، حتى ان اكثر الناس لا يميزون بين الممكن والمجهول ولا يعرفون طبيعة الممكن ٠

فصل

ان اكثر الناس الذين لا حنكة (٢) لهم لما وجدوا امورا مجهولة بحثوا عنها وطلبوا علمها ونقروا عن اسبابها حتى توصلوا الى معرفتها وصارت لهم معلومة فاحسنوا الظن بما هو ممكن بطبعه وظنوا انه انما يجهلونه لقصورهم عن ادراك سببه وانه سيوصل الى معرفته بنوع من البحث والتفتيش ولم يعلموا ان الأمر

(١) فى الاصل «تمه» كذا (٢) الحنكة بالضم التجربة — لسان العرب .

فى طبيعته ممتنع لان يكون به تقدمة معرفة البتة بجهة من الجهات اذ هو ممكن الطبيعة وما هو ممكن فهو بطبعه غير محصل ولا محكوم عليه بوجوده اولا وجوده ٠

فصل

الاسماء المشتركة قد تصير سببا للاغلاط العظيمة فيحكم على اشياء بما لا يوجد فيها لاجل اشتراكها فى الاسم مع ما يصدق عليه ذلك الحكم كالاحكام النجومية ٠

فان قولنا الاحكام النجومية مشتركة لما هى ضرورية كالحسابيات والمقاديريات منها، ولما هى ممكنة على الاكثر كالتأثيريات الداخلة فى الكيف ، ولما هى منسوبة اليها بالظن والوضع وبطريق الاستحسان والحسبان ٠

وهذه فى ذواتها مختلفة الطباع، وانما اشتراكها فى الاسم فقط فان من عرف بعض اجرام الكواكب وابعادها ونطق بذلك فقد يقال انه حكم بحكم نجومى، فذلك داخل فى جملة الضروريات اذ وجوده ابدا كذلك ، ومن عرف ان كوكبا من الكواكب كالشمس مثلا اذا حاذت مكانا من الامكنة فانه يسخن ذلك المكان ان لم يكن هناك مانع من جهة قابل السخونة ونطق بذلك فقد حكم ايضا بحكم نجومى، وهو داخل فى جملة الممكنا على الاكثر ٠

ومن ظن ان الكوكب الفلانى متى قارن او اتصل بالكوكب الفلانى استغنى بعض الناس اوحدث به حادث ونطق بذلك فقد حكم ايضا بحكم نجومى، وهو داخل فى جملة الامور الظنية والاستحسانية والحسبانية •

وطبيعة كل حكم من هذه الاحكام مخالفة للطبيعة الباقية فاشتراكها انما هو فى الاسم فقط •

وكذلك قد يلتبس ويشتبه الأمر فيها على اكثر الناس اذهم غير محتنكين ولامتدبرين ولامرتاضين بالعلوم الحقيقية اعنى الضرورية البرهانية •

فصل

مشاهدات الاجرام المضيئة العلوية مؤثرة فى الاجرام السفلية بحسب قبول هذه منها كما يظهر من حرارة ضوء الشمس وكثرة ضوء القمر وضوء الزهرة، وما يظهر من فعلها انما هو بتوسط اضوائها المبثوثة لاغير •

فصل

القدماء مختلفون فى الاجرام العلوية هل هى بذواتها مضيئة ام لا •

فبعضهم قالوا ليس فى العالم جرم مضيء بذاته سوى الشمس وكل ما سواها من الكواكب يستضيء منها •

واستدلوا

واستدلوا على صحة قولهم بالقمر والزهرة فأنهما يكسفان للشمس حيث حالتا فيما بينها وبين البصر ٠

وبعضهم قالوا ان جميع الكواكب الثابتة مضيئة بذواتها وان السيارة مستضيئة من الشمس، فعلى أى هاتين الجهتين كانت فان تأثيرها بتوسط اضوائها الذاتية او المكتسبة غير مستنكر ولامدفوع ٠

فصل

معلوم ان الكواكب متى استجمعت انوارها مع ضوء الشمس على جسم من الاحسام السفلية أثرت فيه أثراً مخالفاً لما تؤثر عند انفرادها عنه، وذلك مختلف بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والازيد والانقص وبعقد ارتهيؤ ذلك الجسم فى الازمنة المختلفة لقبول ذلك الأثر ٠

وايضا فان بين الاجسام تفاوتا فى القبول وهذه هى الخواص التى موجودة وفاعلة وان كانت غير مضبوطة بمقاديرها وهيآتها على الاستقصاء والاستيفاء ٠

فصل

العلل والاسباب اما ان تكون قريبة، واما ان تكون بعيدة والقريبة معلومة مدركة مضبوطة على اكثر الامور وذلك مثل حمي الهواء من انبثاث ضوء الشمس فيه، والبعيدة قد يتفق

ان تصير مدركة معلومة مضبوطة، وقد تكون مجهولة فالمضبوطة المدركة منها كالقمر يمتلىء ضوءا ويسامت مجرا فيمتد فيسقى الارض فينبت الكلأ فيرتعها الحيوان فيسمن فيربح عليها الانسان فيستغنى، وكذلك ما اشبهها •

فصل

لاتستنكر ان يحدث فى العالم أمور لها اسباب بعيدة جدا فلا تضبط لبعدها فيظن بتلك الامور أنها اتفاقية وأنها من حيز الممكن المجهول مثل ان تسامت الشمس بعض الاماكن الندية فترتفع عنها بخارات كثيرة فتنعقد منها سحائب وتمطر عنها امطار وتتكون بها أهوية فتتعفن بها ابدان فتضطرب [illegible] اقوام فيستغنون فيه غيران الذى يزعم انه قد يوجد سبيل الى معرفة وقت استغناء هؤلاء القوم ومقداره وجهته من غير اقتفاء السبيل الذى ذكرت مثل تفاؤل أوعيافة أواستخراج حساب اومناسبة بين اجسام او أعراض فهو مدع ما لا يذعن له عقل صحيح البتة •

فصل

امور العالم واحوال الانسان فيها كثيرة وهى مختلفة، فمنها خير ومنها شر ومنها محبوب ومنها مكروه ومنها جميل ومنها قبيح ومنها نافع ومنها ضار، فأى واضع وضع بازاء كثرة افعاله كثرتا من امور العالم مثل حركات البهائم او اصوات الطيور او كلمات مسطورة

اوفصوص معمولة اوسهام منشورة اواسام مذكورة اوكلمات من حركات النجوم وما اشبه ذلك مما فيه كثرة فانه قد يصادف بين تلك الاحوال وبين ما وضع مما ذكر أى كثرة كانت مناسبة يقيس بها بين هذه وبين تلك ٠

ثم قد تتفق فيها أشياء تعجب الناظر فيها والمتأمل بها الا ان ذلك لاعن ضرورة ولاعن وجوب ينبغى للعاقل ان يعتمدها ، وانما هو اتفاق يركن اليه من كان فى عقله ضعف اما ذاتى اوعرضى فالذاتى هو ما يكون فى الانسان الغبى الذى لا تجارب معه، اما لصغر سنه ، واما لغباوة طبعه ٠

والعرضى هو ما يكون للانسان عند ما يغلب عليه بعض الآلام النفسانية مثل شهوة مفرطة اوغضب مفرط اوحزن اوخوف اوطرب اوما اشبه ذلك ٠

فصل

مزية حركات الاجرام العلوية والمناسبات التى بينها على ما سوى ذلك من اصوات الطيور وحركات البهائم وخطوط الاكتاف وجداول الاكف واختلاجات الاعضاء وسائر ما يتفاءل ويتطير بها ٠

ومنها انما هو بمعنيين اثنين، احدهما ان تلك الاجرام هى مؤثرة فى الاجسام السفلية بكيفياتها فهى لذلك مظنون بها انها

مؤثرة ايضا لاتصالاتها وانصرافاتها وظهورها وغيبوبتها و تقاربها وتباعدها •

والآخر انها ثابتة بسيطة شريفة بعيدة عن الفسادات •

فصل

ليت شعرى لما وجدت النغم التأليفية بعضها منافرة وبعضها ملائمة وبعضها اشد ملاءمة وبعضها اشد منافرة ما الذى يوجب ان يكون حلول الكوكب فى الدرجات التى تناسب فى العدد تلك النغم ايضا حالها فى المساعد والمناحس كذلك، مع ما هو من المتفق عليه ان تلك الدرجات وتلك البروج انما هى بالوضع لا بالطبع وليس هناك البتة تغير وتخالف طبيعى •

فصل

ألم تعلم ان الاستقامة والاعوجاج والنقصان والكمال التى تقال فى مطالع البروج انما هى بالاضافة الى اماكن بأعيانها لاجل تلك الاماكن، لا انها فى انفسها ذوات اعوجاج واستقامة وكمال ونقصان وسائر ما اشبهها •

فاذا كان الأمر كذلك فما الذى يوجب ان تكون دلالتها على الاجرام السفلية من الحيوانات والنباتات بحسب تلك التأثيرات التى قيل فيها، وان صح ذلك فى ذواتها فهو يوجب شيئا غير ما هو داخل فى التأثيرات الداخلة فى باب الكيف •

فصل

من اعجب العجائب ان يمر القمر فيما بين البصر من اناس باعيانهم فى موضع من المواضع فيستر بجرمه عنهم ضوء الشمس وهو الذى يسمى الكسوف فيموت لذلك ملك من ملوك الارض.

ولو صح هذا الحكم واطرد لوجب ان كل انسان اذا استتر بسحاب او أى جسم كانّ عن ضوء الشمس فانه يموت لذلك ملك من الملوك اويحدث فى الارض حادث عظيم.

وذلك ما تنفر عنه طباع المجانين فكيف العقلاء.

فصل

بعد ما اجتمع العلماء واولو المعرفة بالحقائق على ان الاجرام العلوية فى ذواتها غير قابلة للتأثيرات والتكوينات ولا اختلاف فى طباعها فما الذى دعا اصحاب الاحكام الى ان حكموا على بعضها بالنحوسة وعلى بعضها بالسعادة.

ان كان ما دعاهم الى ذلك ألوانها وحركاتها البطيئة والسريعة فليس ذلك بمستقيم فى طريق القياس، اذ ليس كل ما اشبه بعرض من الاعراض فانه يجب ان يكون شبيها به بطبعه وان صدر عن كل واحد منهما ما يصدر عن الآخر.

فصل

لو وجب ان يكون كل ما كان لونه من الكواكب

شبيها بلون الدم مثل المريخ دليلاً على القتال واراقة الدماء لوجب ان يكون كل ما لونه أحمر من الاجسام السفلية ايضا دليلا على ذلك اذ هي أقرب منها واشد ملاءمة .

ولو وجب ان يكون كلما حركته سريعة او بطيئة من الكواكب على التباطؤ والتسارع فى الحوائج لوجب ان يكون كل بطيء وكل سريع من الاجرام السفلية أدل عليها، اذ هي اقرب منها واشبه بها واشد اتصالا، كذلك الامر فى سائرها .

فصل

ما اعمى بصر من نظر فى امر البروج فلما وجد الحمل به يبتدؤ فى تقديرها حكم انه يدل على رأس الحيوان وخصوصا الانسان ثم لما كان الثور يتلوه حكم بانه يدل على العنق والاكتاف، وكذلك الى ان انتهى الى الحوت حكم بانه يدل على القدمين، أما كان ينبغي أن ينظر بعينه السخينة وعقله المذهول الى الحوت وهو يتصل بالحمل والى القدمين وهما غير متصلتين بالرأس فيعلم ان حكمه غير مطرد فى ذلك اذا عضاء بدن الحيوان موضوعة على الاستقامة والبروج على الاستدارة وليس بين المستقيم والمستدير مناسبة

لكن من اعظم المصائب ان الضرورة تدعو الى التفوه بمثل هذا الطعن الذى لايدرى هل الطعن اضعف أم المطعون غير ان الشر يدفع بالشر .

ولولا ان الاشتغال بأمثال هذه المقابلات والمعاندات مما يتعطل به الزمان لأثبت منها جملة •

فصل

من حكم بان زحل هو ابطأ الكواكب سيرا والقمر أسرعها سيرا، لم لم يقلب الحكم ان زحل أسرعها سيرا اذ مسافته أطول مسافات الكواكب سواها، والقمر ابطأها اذ مسافته أقرب مسافات تلك •

فصل

هب ان القمر وسائر الكواكب أدلة على الامور والاحوال على ما وضعه اصحاب الاحكام، فلم قالوا ان الامور التي يراد أن تكون خفية مستورة ينبغي ان تتعاطى في وقت الاجتماع لاضمحلال ضوء القمر،

أما علموا ان ضوء القمر على حالته لم يتغير ولم يلحقه زيادة ولا نقصان، وانما ذلك بالقياس الينا لاغير •

وكذلك ما قالوه في الامتلاء والاستقبال، ومهما لم يلحقه في ذاته تغير، فما الذي يجب ان يلحق ذلك التغير ماهو دليل من الامور على ما وضع •

فصل

لما كانت الكواكب والشمس في ذواتها لا حارة ولا باردة

ولا رطبة ولا يابسة باتفاق من العلماء ، فما معنى الاحتراق الذى ادعوا فى الكواكب التى تقرب من الشمس •

وحيث وضعوا الشمس دليلا على الملوك والسلاطين فلم لم يحكموا بان الكواكب التى هى دليل على نوع من انواع الناس مثل عطارد الذى وضعوه دليلا على الكتبة أو على من يكون صاحب وجاهة ، اذا قرب من الشمس ان يكون له تمكن من السلطان وقرب اليه وزلفى ، لكنهم جعلوا ذلك منحسة •

فصل

من ظن ان هذه تجارب عليها وجدت دلائل هذه الكواكب وشهاداتها فليعمد الى سائر ما وضع وليقلبها مقلوبا فى المواليد والمسائل والتحاويل فان وجد بعضها يصح وبعضها لا يصح على ما عليه حال ما وضع على ما وضع ، فيعلم ان ذلك ظن وحسبان واستحسان وغرور •

فصل

لم يرأحدهوانه كبا انهمن الاستهتار باحكام النجوم والايمان بها واليقين فيها بغاية ليس وراءها غاية وهو يقطع أمرا مما يهمه لاجل حكم يحكم له به وان عاين فى طالع مولده اومسئلته جميع الشهادات التى بها يستدل وعليها يعول مثل اخراج مال اوعقد حزم فى حرب اواخذ زاد فى سفر وما أشبه ذلك •

واذا

واذا كان الأمر على هذا السبيل فما اشتغالهم بهذا الفن الا لاحدى ثلاث

اما لتفكه وولوع، واما لتكسب وتسوق وتعيش به، واما لحزم مفرط وعمل بما قيل ان كل مقبول محذور منه .

هذا آخر ما وجد من التذاكير بخط ابى نصر اثبتها لنفسى وكتبتها لك لتتأملها لان تنشط لمثلك، والله الموفق .

تمت الرسالة بعونه



